كتب حديثة عن العالم العربى

لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب

تحقيق : الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة

تعليق : الدكتور عبد الرحمن زكى

دار الثقافة ببيروت ١٩٦٧

صدر في العامين الأخيرين للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة أستاذ التاريخ الإسلامى بالجامعة الأردنية ، أربعة كتب قيمة[١] تناول فيها تاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهى فترة لم يُفِى المؤرخون المحدثون العرب بها إلا منذ سنوات قليلة ، وربما كان يرجع ذلك إلى قلة المراجع العربية الأصيلة التى تعين المؤرخ على التأليف ، ومعظم هذه المراجع ليست في متناوله . بيد أن ذلك لم يثن عزيمة الدكتور أحمد أبو حاكمة ، فلقد أقدم على البحث في دور المحفوظات التاريخية حتى توافرت لديه طائفة منها في المتحف البريطاني وجامعة لندن .

بحث مؤرخنا الجليل تلك المخطوطات العربية النادرة المتصلة بدراسة الحقبة التى ذكرناها ، فوضع يده على مخطوط لكتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب الذى عرف سبيله إلى المتحف البريطاني سنة ١٨٦٠ عندما اشتراه المتحف من أرملة المستر تيلور المقيم البريطاني ببغداد . والكتاب

---

(١) Ahmad Abu Hakima : History of Eastern Arabia. The Rise and development of Bahrain and Kuwait. Beirut 1965.

وثانيها تحقيق كتاب « لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب » ، بيروت ١٩٦٧

وثالثها « محاضرات فى تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة » . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٨

ورابعها « تاريخ الكويت » ، القسم الأول من الجزء الأول . الكويت سنة ١٩٦٧

مجهول مؤلفه ، وقد نسب خطأ إلى محمد بن عبد الوهاب في فهارس المتحف البريطاني نظراً لأنه جلد معه كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب . ولم يعرف محتوياته سوى قليل من المؤرخين بالرغم من أهميته لدراسة تاريخ شرقي الجزيرة العربية . فأقدم المؤرخ على تحقيقه تحقيقاً علمياً ممتازاً يستحق عليه الثناء .

يعالج لمع الشهاب الحركة الوهابية المباركة منذ بدايتها وإلى عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م ويقع في خمسة فصول وخاتمة . ففي الفصل الأول يتناول سيرة محمد بن عبد الوهاب وبداية دعوته ، وفي الثاني يبين المؤلف كيف قبل محمد بن سعود دعوة الشيخ وكيف تم الإتفاق فيما بينهما على نشر الدعوة ، وثالث الفصول جاء في نسب محمد بن سعود وحسبه ، ورابعها فيه تفصيل لحكم آل سعود في الجزيرة إبتداء من محمد بن سعود وحتى عبد الله بن سعود ، أى أنه يعالج التوسع السعودى منذ البداية في نجد والإحساء والعراق وعمان وسورية وغيرها . وخامس الفصول يبين توسع الوهابيين وكفاحهم في الحجاز غرباً ، وبيان حدود بلاد نجد والحجاز وتهامة واليمن وأرض بنى خالد وقطر وعمان وأسماء شعوب بنى خالد ، وما كانوا فيه من الرياسة قبل ظهور محمد بن سعود . أما الخاتمة ففيها شرح مستفيض لتعاليم الوهابية كما نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم كيف علق بعض علماء المسلمين على دعاواه .

ومنهج صاحب لمع الشهاب يختلف عن منهج سواه ممن سجلوا الأحداث دون أن يعلقوا عليها . فهو يورد الحقيقة التاريخية ثم يأخذ في علاج أسبابها ثم نتائجها وفي ذلك نراه حريصاً على أن يصل إلى الحقيقة ، فهو يمضى إلى الزبير والكويت ليسأل أهل العلم عنها دون أن ينحاز إلى جانب دون آخر . شأنه في ذلك شأن المؤرخ المنصف النزيه .

ويكاد يكون صاحب لمع الشهاب المؤرخ العربي الفريد الذى نستطيع أن نستمد من مؤلفه معلومات متصلة عن تعاقب شيوخ بنى خالد ، ، كما أنه عالج أسباب زوال الملك عنهم وكان في مقدورهم أن يصدوا الزحف الوهابي

لولا تفرق كلمتهم وتنازعهم على السلطان ، وسبب ذلك في رأى المؤلف راجع إلى الدسائس والمؤامرات التى كان يدبرها الوهابيون لهم (ص ٦٧ — ٧٦) . ولصاحب لمع الشهاب رأى في مسلك الوهابيين تجاه القرصنة في البحار المجاورة ، فإنه يرى أن تلك الأعمال التى كان يقوم بها القواسم من أهل رأس الخيمة هى واجب دينى ، كما أنه يدعى أن الوهابيين قد اتخذوا من القواسم أداة للقرصنة وهم محرضوهم على ذلك (١٣٩ — ١٤١) .

ولقد دعت الأمانة العلمية صاحب لمع الشهاب أن يعيد النظر في بعض ما دونه من أخبار بعد أن فرغ من تدوين كتابه ، وكانت هذه الإعادة عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م بعد عام من فراغه من تدوينه .

ولما كان المؤلف قد أورد كثيراً من الحوادث دون أن يذكر تاريخ وقوعها ، فقد كان لزاماً على صديقنا المؤرخ أن يحددها باستعانته بالمصادر المعاصرة الأخرى لتلك الحقبة ، وهى مصادر عربية وأجنبية كثيرة ، فبذل جهداً يذكر له بالثناء . وفي طليعة تلك المصادر :

١ — المراسلات المخطوطة لشركة الهند الشرقية الإنجليزية المحفوظة في مكتبة وزارة شؤون الكومنولث (Commonwealth Relation Office)[1] التى كانت تعرف قديماً بمكتبة وزارة شؤون الهند بلندن . وهذه المراسلات أو الوثائق تمثل قدراً هائلاً من مكاتبات وكلاء الشركة ، وهى الخطابات المتبادلة بين وكلاء الشركة المقيمين في وكالاتها ببلدان الخليج العربي وبين مجلسى مديرى الشركة بلندن .

٢ — وهناك الوثائق المطبوعة من هذه المراسلات . وينحصر أهمها في مختارات من سجلات حكومة بومباى (No. XXIV New Series) والتى طبعت سنة ١٨٥٦ في مدينة بومباى .

٣ — ورجع المؤرخ الفاضل إلى مصادر هامة أخرى تتمثل في كتابات الرحالة الأوروبيين ومنهم موظفو شركة الهند الشرقية ، وفيما كتبه الرحالة

---

(١) اندمجت وزارة شؤون الكومنولث فى وزارة الخارجية البريطانية فى مارس ١٩٦٨

الدنماركي نيبور (Niebuhr) (١٧٣٣ — ١٨١٥) ، وتعتبر رحلته خير مرجع أوروبي عن الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر ، وكذلك الخريطة التي رسمها الرحالة للخليج العربي . كما أنه رجع إلى ما كتبه عدد من الرحالة الأوروبيين ، من أمثال سيتزن الألماني ، وبوركهاردت السويسرى ، وبكنجهام ، وشتوكويلر ، وويلستد وغيرهم .

٤ — ومن مصادر المؤرخ الهامة ، ما كتبه سير هارفورد جونز بريدج عن الوهابية وملاحظاته عن البدو والوهابيين وبعض حكام الكويت ، وعن حملة على باشا كيخيا بغداد على الإحساء عام ١٧٩٨ — ١٧٩٩ ، هذا بالإضافة إلى المراجع التاريخية الكثيرة من عربية وأجنبية ذكرها المؤرخ أبو حاكمة في ذيل تحقيقه (ص ١٩٧ — ٢٠٦) وتعتبر وحدها قائمة شاملة تدعم دائمة المستشرق البريطاني جمال الدين هيورث — دن التي صدرت في عام ١٩٥٢[1] .

والكتاب غنى بالتعليقات التاريخية التي تفيض بها صفحات « لمع الشهاب » عقب كل فصل . وهي دليل واضح للجهد المثمر الذى بذله المؤرخ أحمد أبو حاكمه ، فشكراً له .

---

(١) Bibliography and Reading Guide to Arabia (No. 1, the Muslim World Series). The Renaissance Bookshop, Cairo.

المؤلف : Al Bert Hourani

الكتاب : Arabic Thought in the Liberal Age

London 1964

تعليق : الدكتور جمال زكريا قاسم

تأثرت الإتجاهات السياسية والفكرية في أوربا بحدثين كبيرين كان لهما أثر كبير في نمو المذاهب الليبرالية التى يدعو أصحابها إلى الحرية السياسية والإقتصادية ونعنى بهذين الحدثين الثورة الصناعية والثورة الفرنسية وقد تأثر العالم العربي بتلك الإتجاهات الفكرية التى أخذت تسود أوربا منذ أواخر القرن الثامن عشر ومن هنا كان تحديد المؤلف عام ١٧٩٨ بداية لهذا التأثر باعتبار أن الحملة الفرنسية على مصر كانت تمثل أول احتكاك قوى بين أوربا والشرق كان له أثره في تحديد المعالم الرئيسية التى اتجه إليها المفكرون العرب على أن أهم ما يلاحظ أن تلك الإحتكاكات الفكرية حدثت في وقت كان تفوق الغرب فيه ملحوظاً وعلى ذلك لم يكن التقدم الفكرى الذى استمده الشرق من الغرب خالصاً في حد ذاته وإنما كان يحمل في طواياه غوائل التدخل والنفوذ الأجنبي ولعل ذلك ما جعل المؤلف يقف عند عام ١٩٣٩ باعتباره تاريخ التحول الخطير الذى حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية حيث استقلت كثير من الدول العربية وظهرت قوى جديدة أصبح لها اعتبارها في الميزان الدولى تتمثل في مجموعة الدول الأسيوية والإفريقية واتجاه تلك القوى الجديدة إلى التقدم في العلوم التكنولوجية والتطبيقية التى كان لها أثرها الواضح في ترجيح كفة الغرب على كفة الشرق . وإذا كانت الأوضاع السياسية قد تغيرت فإن المؤلف يدعو إلى أن يتعامل الشرق مع الغرب تعاملاً فكرياً خالصاً على ألا يعترف للغرب بأى نفوذ أو مصالح قد تؤثر على ذلك .

ويبدأ حوراني دراسته بتركيزه على الإصلاح في المجتمع الإسلامى ويعزوه إلى أنه كان رد فعل إيجابي للأخطار التى واجهت هذا المجتمع من

قبل أوربا تلك الأخطار التى أخذت تزداد في شدتها منذ أوائل القرن التاسع عشر . والمجتمع الإسلامى في ذلك الوقت كانت تمثله الدولة العثمانية التى كانت تسير في طريق التدهور نتيجة للضعف العام الذى ألم بها منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الأمر الذى أدى إلى تدفق الثروة على دول غرب أوربا وحرمان الشرق الإسلامى من مصدر هام من مصادر تلك الثروة . وقد نتج عن حالة الضعف هذه محاولات للإصلاح من قبل الدولة العثمانية خاصة حينما أخذت الإحتكاكات الأوربية الفكرية تغزو العالم العربي إبتداءً من منشور بونابرت ثم التأثيرات الفكرية التى أوجدها السان سيمونيون في مصر في عهد محمد على ثم كان للإرساليات التبشيرية التى اتخذت من بلاد الشام مسرحاً لها الفضل الأكبر في إتاحة الفرصة للعرب للتزود بالثقافة الغربية ومن هنا كان الإتجاه إلى أن الإصلاح لا يمكن أن ينجح إلا بالعدول التام عن الأفكار الإصلاحية التقليدية وضرورة اقتباس الأنظمة الأوربية الحديثة وإدخالها إلى المجتمع الإسلامى .

ولكن المشكلة التى يبرزها المؤلف هى أن المفكرين الذين تلقوا ثقافاتهم على أيدى البعثات التبشيرية في سوريا ولبنان ومعظمهم من المسيحيين لم يكن في استطاعتهم أن يضطلعوا بدور فعلى في الحكومات التى استمرت إسلامية المنحى ولكن تأثيرهم بدأ يظهر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن طريق الكتابة والصحافة .

ويتضح منهج حوراني في وضعه هذا الكتاب في تركيزه على اتجاهين سار فيهما الفكر العربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الإتجاه الأول ويدور حول أهمية العودة إلى المبادىء الأساسية للإسلام بشرط تكييفها بالشكل الذى يتفق وروح العصر ويرتبط هذا الإتجاه بالمفكرين من أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا .

أما الإتجاه الثاني فقد كان يدعو إلى قيام مجتمع قومى علماني وفصل الدين عن الحكم .

وقد حاول حوراني من خلال عرضه للمفكرين بل والترجمة لهم في فصول مختلفة من كتابه دراسة الإتجاهات التى سار فيها أولئك المفكرون من

اتجاه نحو الفكرة الإسلامية بمعناها الواسع أو الفكرة العربية أو الفكرة الإقليمية ومدى تأثر ذلك بالفكر الأوربي خلال الفترة التى حددها لدراسته .

ويقرر المؤلف أنه على الرغم من أن الإتجاه الغالب عموماً لدى معظم مفكرى القرن التاسع عشر كانت الرغبة في إصلاح المجتمع الإسلامى ككل فقد ظهر في مصر اتجاه جديد يؤمن بالأمة المصرية باعتبارها جزءاً متميزاً من المجتمع الإسلامى . وقد حمل لواء هذا الإتجاه الشيخ رفاعة بدوى رافع الطهطاوى ويظهر ذلك في كتاباته من التركيز على الوطن والوطنية ويعتقد حوراني أن رفاعة لم يكن يذهب إلى أبعد من مفهوم الوطنية المصرية على الرغم من وجود بعض الملامح عن فكرة العروبة فهو يقدر في أحيان كثيرة الدور الذى قام به العرب في الفتوحات الإسلامية ولكن ذلك يمكن اعتباره نزعة إسلامية أكثر منه نزعة عربية . على أن الخطير في رفاعة أن أفكاره عن المجتمع والدولة لم تكن تلك الآراء التقليدية التى كانت سائدة في عهده كما أنها لم تكن مجرد إنعكاسات سطحية لما تأثر به أو شاهده في باريس وإنما الطريقة التى صيغت بها آراؤه وإن كانت في مجموعها تقليدية المنحى إلا أنه يعطيها على الرغم من ذلك حداثة وتجديداً ذا معنى .

وإذا كان رفاعة يمثل الفكرة الوطنية فإن خير الدين باشا التونسى يمثل اتجاهاً آخر يغلب عليه إصلاح المجتمع الإسلامى ككل ومع ذلك لم يستطع خير الدين أن ينفذ برامجه الإصلاحية المحلية في تونس نتيجة للتدخل الأجنبى كذلك فشل في تنفيذ برامجه الإصلاحية على مستوى المجتمع الإسلامى حين تولى منصب الصدارة العظمى نتيجة لاستبداد السلطان عبد الحميد الثاني من ناحية وللضغط المتزايد من الدول الأوربية على الدولة العثمانية من ناحية ثانية . وقد عبر خير الدين عن منهجه الإصلاحى في كتابه المعروف أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وقد نشر هذا الكتاب في عام ١٨٦٧ ووضعت ترجمة فرنسية لمقدمته بعنوان « الإصلاحات الضرورية للدول الإسلامية » وقد ذكر خير الدين أن ما دفعه إلى وضع هذا الكتاب أمران . الأول : توضيح الطريق لما هو صالح للمجتمع الإسلامى والثاني : التأكيد بأن الإصلاح يتمشى مع روح الشريعة الإسلامية وليس منافياً لها . وأن المجتمع

الإسلامى لن يستعيد مكانته إلا إذا اتخذ الأساليب التى سارت عليها أوربا ولذلك نجده يحاول التقريب بين الأنظمة الأوربية وبين الأنظمة الإسلامية فالوزير المسئول في النظم الأوربية الحديثة هو ما كان يعرفه المجتمع الإسلامى بالوزير الصالح والبرلمان والصحافة في المجتمعات الأوربية هى نفسها الشورى في الإسلام والإجماع هو الرأى العام وهكذا .

ومع ذلك فإن المشكلة التى يركز عليها حوراني هى كيفية نقل النظريات الأوربية إلى المجتمع الإسلامى دون أن يحدث لذلك رد فعل لدى المحافظين المتمسكين بحرفية الدين وعلى ذلك يرى المؤلف أن المفكرين المسيحيين لم يواجهوا حرجاً في نقل الأفكار الأوربية الحديثة إلى العالم العربي خاصة في اتجاههم إلى الدعوة لقيام مجتمع قومى علماني . وعلى الرغم مما حاول حوراني تأكيده من تأثر المسيحيين بالأفكار القومية ، وعلى الرغم من أننا لانستطيع أن ننكر تأثرهم بذلك إلا أن اتجاه تلك العناصر المسيحية إلى الفكرة القومية العلمانية كان في نفس الوقت حفاظاً على كيانها باعتبارها أقلية تعيش في مجموعة إسلامية كبيرة العدد ومن ثم كانت الدعوة لقيام مجتمع قومى علماني خير ضمان لها خاصة في الوقت الذى غلب فيه الإتجاه نحو الجامعة الإسلامية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ثم تابع المفكرون المسلمون المفكرين المسيحيين في مناهضتهم للإستبداد الذى كان يختفى وراء الخلافة الإسلامية فعبد الرحمن الكواكبي يبشر بالعروبة في كتابه أم القرى ويقاوم الحكم المطلق في كتابه طبائع الإستبداد أما جمال الدين الأفغاني فيمثل اتجاهاً جديداً نحو صد التدخل الأوربي والدعوة إلى الجامعة الإسلامية باعتبارها الطريق الوحيد لمقاومة أخطار أوربا وتعتبر صحيفة العروة الوثقى التى أنشأها في باريس بالإشتراك مع الشيخ محمد عبده توضيحاً لتلك الفكرة وبياناً للضعف الذى تردى فيه العالم الإسلامى . وعلى الرغم من الحماسة التى سارت فيها حركة الجامعة الإسلامية فإنها لم تحقق ما كان يعلق عليها من آمال ويعزو ذلك إلى موجة المد الإمبريالى التى وصلت في نهاية القرن التاسع عشر إلى أقصى مدى لها هذا فضلاً عن أن النزعات القومية التى أخذت تتلمس طريقها إلى الظهور كان لها هى الأخرى الأثر

الكبير في انحلال فكرة الجامعة الإسلامية، وإذا كانت هذه الفكرة قد ووجهت في البداية بمعارضة المفكرين المسيحيين فإنها أخذت في مرحلتها الأخيرة تتعرض لمناوءة المفكرين المسلمين أنفسهم الذين أدركوا ما يكمن وراءها من استبداد وأنها ليست في مصلحة الدين بقدر ما هى في مصلحة الحكام المستبدين فبالإضافة إلى الكواكبي عارض تلاميذ محمد عبده فكرة الجامعة الإسلامية وبرز منهم أحمد لطفى السيد الذى اعتبرها مؤامرة لإثارة الشعور الأوربي ضد الحركة الوطنية في مصر ومن هنا كانت معارضته لمصطفى كامل في دعوته إليها كذلك نفى الشيخ على عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم الذى صدر بعد إلغاء أتاتورك للخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ أن يكون هناك ثمة ضرورة لاعتبار الخلافة أساساً من أسس الحكم في الإسلام .

وأخيراً يثير حوراني ظهور الإتجاهات الدينية بعد ذلك في كتابات طه حسين وحسين هيكل والعقاد ولكنه يؤكد أن ذلك لا يعنى بعثاً للفكرة الإسلامية التقليدية وإنما يؤكد أن اتجاه أولئك الكتاب كان أكثر وضوحاً إلى ضرورة الأخذ بالحضارة الأوربية الحديثة .

من المؤلفات الأجنبية الهامة التى صدرت منذ وقت قريب كتابي مارلو القومية العربية والإمبريالية البريطانية وكذلك كتاب البرت حوراني : الفكر الفكر العربي في العصر اللبرالى . وفيما يلى عرض لهما :

المؤلف : John Marlowe

الكتاب : Arab Nationalism & British Imperialism. London 1962.

تعليق : الدكتور جمال زكريا قاسم

القضية التى يطرحها جون مارلو في كتابه تقوم على أساس أن القومية عنصر هام من عناصر الوحدة السياسية وإن كان يقرر أنه على الرغم من توافر الشعور القومى في أحيان كثيرة فإن الوحدة السياسية لا تتحقق إلا بوجود قوة منفذة لها . وفي بعض الأحيان لاتتوافر الظروف لقيام الوحدة السياسية فالعالم العربي لم يصل إلى تحقيق وحدته السياسية على الرغم من توافر العناصر الأساسية من لغة وتراث وتقاليد مشتركة .

ويبدأ المؤلف دراسته للقومية العربية بالتأكيد أن العرب عاشوا قرابة أربعة قرون في وحدة تكاد تكون متكاملة في نطاق تبعيتهم للدولة العثمانية. ونجح العرب في الاحتفاظ بشخصيتهم في إطار هذه التبعية ساعدهم على ذلك أسلوب الحكم العثماني من ناحية ومن ناحية أخرى أن السياسة الأوربية كانت حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر تميل إلى المحافظة على التكامل السياسى للدولة العثمانية .

ولكن العرب بدأوا يتعرضون منذ نهاية القرن التاسع عشر لموجة إمبريالية من ناحية ولسياسة مركزية شديدة الوطأة سارت عليها الدولة العثمانية خاصة منذ وصول جماعة الاتحاد والترقي إلى الحكم في عام ١٩٠٨ من ناحية أخرى . وقد أثر هذان العاملان بطريقة غير مباشرة في صهر القومية العربية

ظهر ذلك في المؤتمر الذى عقده العرب بباريس عام ١٩١٣ وفي أعقاب ذلك المؤتمر تحول وضع القومية العربية من مجال المناقشة النظرية إلى مجال التطبيق العملى السياسى ، وقابل ذلك رد فعل من قبل بريطانيا التى عملت خلال الحرب العالمية الأولى على تركيز نفوذها في المنطقة العربية واتخاذ مصر قاعدة لذلك النفوذ خاصة بعد انهيار الدولة العثمانية . على أن بريطانيا لم تكن تتصرف بمفردها في وراثة الدولة العثمانية إذ كان أمامها فرنسا التى أصرت على أن يكون نصيبها في تركها الدولة العثمانية موازناً لنصيب بريطانيا وقد وضعت مطالبة على سوريا ولبنان بصفة خاصة بالنظر إلى مصالحها التقليدية في هذين الإقليمين . ولذلك يرى المؤلف أن الصهيونية لم تكن لتحظى برعاية بريطانيا ما لم تُواجه بريطانيا بمطالبة فرنسا بجميع سوريا بما فيها فلسطين . وإن كنا نرى أن تعاطف بريطانيا مع الصهيونية يرجع إلى عوامل أخرى بالإضافة إلى ذلك العامل وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا استطاعتا في الفترة فيما بين الحربين إحلال الأماني الإقليمية محل القومية العربية فقد تميزت هذه الفترة مع ذلك بأنها كانت مرحلة هامة من مراحل تطور القومية العربية إذ نتج عن المطامع الصهيونية في فلسطين أن أصبحت القضية الفلسطينية بمثابة البؤرة المجمعة لحركة القومية العربية . ثم يعرض المؤلف لمرحلتين هامتين مرت بهما العلاقة بين العرب وبين بريطانيا وغيرها من الدول الإمبريالية : المرحلة الأولى : وتتميز باتجاه هذه الدول إلى ضم البلاد العربية إلى مناطق نفوذها في فترة ما بين الحربين والمرحلة الثانية : وتتميز باستقلال البلاد العربية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ومحاولة الدول الغربية ربط الدول العربية المستقلة في المحالفات العسكرية . ومن الطبيعى أن تتعرض المرحلة الثانية — وهذا ما يركز عليه المؤلف — لمعارضة شديدة من قبل القوى الوطنية التى استعانت في نضالها ضد الدول العربية بالقومية العربية وعلى هذا الأساس يمكن القول أن القومية العربية نمت كرد فعل للضغط الإمبريالى على العالم العربي وساعد على اطراد نموها أنها كانت نابعة من شعور العرب بأهمية تحقيق الوحدة العربية باعتبارها السبيل لمقاومة النفوذ الغربي .

وعلى الرغم مما أكدته الحرب العالمية الثانية من أهمية العالم العربي ، وإدراك زعماء العرب بأنفسهم مزايا تلك الأهمية فقد كان من المفروض أن يركزوا سياستهم بهدف استغلال هذه الأهمية المتزايدة للعالم العربي بدلاً من أن يُستغلوا بسببها ولكن عرقل ذلك استمرار التشاحن بين زعماء العرب ولا شك أن بريطانيا وغيرها من الدول الغربية صاحبة المصالح في المنطقة العربية كانت تقف وراء هذه المنازعات وتعمل على تعميقها . فالملك عبد الله ملك الأردن نظر إلى الوحدة العربية في مملكة هاشمية تضم سوريا الكبرى ، أما نورى السعيد فقد نظر إلى الوحدة العربية في دولة عراقية كبيرة يبعد عنها مصر والسعودية . أما السعودية فقد رفضت زيادة نفوذ الأسرة الهاشمية وفي لبنان كان المسيحيون يخشون من وحدة عربية قد تعرضهم لسيطرة الأغلبية العظمى من المسلمين . وكانت هذه الخلافات هى التى استفادت منها إسرائيل في الإستيلاء على فلسطين وهذا يسجل نقطة تحول بالغة في سير الحركة العربية . وتميزت السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أيضاً بنمو المعسكر الإشتراكى واتجاهه لتأييد الحركات الإستقلالية في العالم العربي لمقاومة النفوذ الإمبريالى . وكان لذلك تأثير بالغ في الأحزاب السياسية التى ظهرت في بعض الدول العربية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتميزت باتجاهها اليسارى ولكن هذه الأحزاب كانت تفتقر إلى التأثير الفعلى نتيجة عدم الإعتراف بها فضلاً عن قلة عدد ممثليها في المجالس النيابية . ولذلك وقع على الجيش عبء الصراع ضد الإمبريالية وشهد العالم العربي بالفعل حركات قام بها الجيش في كل من سوريا ومصر والعراق . ويقرر المؤلف دخول القومية العربية في طور جديد بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر وما ترتب على قيام هذه الثورة من انقسام العالم العربي بين قوى تقدمية وطنية وبين قوى تعتمد على تأييد المعسكر الغربي لها وقد برز ذلك بصفة خاصة في عام ١٩٥٥ بقيام حلف بغداد ، واتجاه بريطانيا إلى ذلك الحلف يؤرخ لمرحلة هامة لأن بريطانيا كانت إلى ما قبل تكوينها لحلف بغداد تعتمد على قاعدة قناة السويس فلما فقدت القناة بدأت هذا الإتجاه الجديد . ومن الطبيعى أن تواجه سياسة مصر بتكتل غربي لمحاولة إقصائها وعزلها عن العالم العربي خاصة لما قد يترتب على نجاح سياستها

من عرقلة النفوذ الغربي الداعى إلى عقد المحالفات العسكرية ومن هنا تركزت دعاية الدول الإمبريالية بأن اتجاه مصر ليس إلى القومية العربية بقدر ما هو اتجاه إلى سياسة المجال الحيوى باعتبار العالم العربي متنفساً إقتصادياً لمصر في وقت يزداد فيه سكانها وتحتاج إلى عملية تهجير واسعة لفلاحيها . وقابلت مصر ذلك بتأكيدها على الوحدة العربية والحياد الإيجابي وانتهاج سياسة ضد الإمبريالية . ووجدت مصر من الدول العربية من كان على استعداد لأن يتمشى مع سياستها في مقاومة المعسكر الإمبريالى وبرزت السعودية في عام ١٩٥٥ وكان ذلك على أثر توتر العلاقات بينها وبين بريطانيا نتيجة الإعتداء البريطاني على واحة البوريمى . كما تسجل الفترة السابقة لحرب السويس تصاعداً للمد القومى العربي برفض الأردن الإنضمام إلى بغداد وإلغائه المعاهدة التى تربطه ببريطانيا ودخول الجيش الأردني مع الجيش المصرى والسورى في قيادة عربية مشتركة . وفي عام ١٩٥٦ صدر دستور الجمهورية المصرية الذى أعلن أن مصر جزءاً من الأمة العربية . ولا شك أن بريطانيا استاءت من فقدها النفوذ في الأردن بالإضافة إلى تأثير زحف تيار القومية العربية على مناطق نفوذها في الخليج والجنوب العربي — كذلك استاءت إسرائيل التى كانت تدرك أن بقاءها وسلامتها يعتمدان على فرقة العرب وأن وجود قوة دفاع عربية مشتركة يؤدى إلى إحاطتها بدول عربية قوية . كذلك نظرت فرنسا إلى مساندة مصر للثوار الجزائريين خلال حرب التحرير الجزائرية بفزع بالغ أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد أعلنت استياءها من سياسة الحياد الإيجابي وعدم الإنحياز . وترتب على ذلك تكتل غربي انتهى بوقوع العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ . وعلى الرغم من أن مصر استطاعت تحويل هذا العدوان إلى نصر كبير فقد استمرت التحديات الإمبريالية قائمة بإعلان مبدأ أيزنهاور ١٩٥٧ الذى قصدت به الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق ما فشلت فيه بريطانيا وكان من نتيجة انجذاب كل من لبنان والسعودية والأردن إلى دائرة المعسكر الغربي ولم يكد ينتصف عام ١٩٥٧ حتى وضح أن مشروع أيزنهاور قد نجح في تخفيف العزلة التى فرضت على العراق نتيجة انضمامه إلى حلف بغداد .

وبعد ذلك تأتي مرحلة أخرى بإعلان الجمهورية العربية المتحدة ثم قيام ثورة العراق سنة ١٩٥٨ تتلوها مرحلة مضادة تتميز بانحراف الثورة العراقية ووقوع الإنفصال بين مصر وسوريا في عام ١٩٦١ وهذا ما يقف عنده المؤلف وإن كان يرى تحول السياسة العربية إلى اتجاه جديد نحو تصفية الخلافات القائمة بين ملوك العرب ورؤسائهم الأمر الذى يظهر في مؤتمرات القمة العربية التى بدأت تنعقد منذ ذلك الحين .